**دولة الغساسنة**

كانت قبائل الازد اليمنية قد هاجرت الى بلاد الشام على أثر انكسار سد مأرب وتدهور نظم الزراعة واعمال الري في جنوب الجزيرة العربية ، وقد نزل الازد في البلقاء واستقروا حول نبع ماء يعرف باسم " غسان " فعرفوا بالغساسنة ([[1]](#footnote-1)) اما المسعودي فيذكر ان نبع غسان كان في بلاد اليمن فيقول " انما غسان ماء فشربوا منه فسموا بذلك وهو ما بين زبيد ورمع ، وادى الاشعريين بارض اليمن " وأورد المسعودي شعرا لحسان بن ثابت :

**أما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان ([[2]](#footnote-2))**

وعرف الغساسنة ايضا بال جفنة نسبة الى اول ملوكهم جفنة بن عمرو مزيقاء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد([[3]](#footnote-3)) . كما عرفوا بال ثعلبة نسبة الى جد لهذه الاسرة هو ثعلبة بن مازن ([[4]](#footnote-4)) . وكان يسكن بادية الشام قبل قدوم الغساسنة قوم عرفوا بالضجاعمة من قضاعة ، فلما نزل الغساسنة بجوارهم فرض هؤلاء عليهم الاتاوة ، وظل الغسانيون يؤدونها لهم حتى اندلعت الحرب بين الطرفين وانتهت بتغلب وانفرادهم بالسلطة دون غيرهم ([[5]](#footnote-5)) .

واول امراء غسان في بلاد الشام هو جفنة بن عمرو مزيقياء ، وقد ذكر حمزة الاصفهاني ان جفنة هذا لما ملك قتل ملوك قضاعة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم ([[6]](#footnote-6)) في حين يذكر المسعودي ان اول من ملك من الغساسنة هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة ([[7]](#footnote-7)) .

ويعتبر الحارث بن جبلة ( 529 – 569 م ) اعظم ملوك غسان وأشهرهم ، وكان الحارث هذا معاصرا للإمبراطور جستنيان ( 527 – 565 م ) ، وكسرى انو شروان ( 531 – 579 م ) ، وقد ذكر المؤرخ بروكوبيوس ان جستنيان أنعم على الحارث بلقب " ملك " Basileus وبسط نفوذه على كثير من القبائل العربية بالشام ، وكان الامبراطور يقصد بذلك ان يجعل الحارث خصما قويا في وجه المنذر بن النعمان المعروف بابن ماء السماء ملك الحيرة ([[8]](#footnote-8)) . ويعتقد بعض العلماء ومنهم ( نولدكه ) ان الامبراطور لم يمنح الحارث لقب " ملك " فقد كان هذا اللقب قاصرا على القياصرة ، فلا يمنح لغيرهم وان ما لقب به الحارث وغيره من ال جفنة هو لقب " البطريق " او لقب شيخ القبيلة ( فيلاركوس ) ([[9]](#footnote-9)) .

وقد قام الحارث بن جبلة بضبط امور سورية اثناء انشغال الامبراطور جستنيان بحروبة في اسبانيا وشمال افريقيا ، واستطاع ان يقيم جبهة قوية امام المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وحارب الفرس اعداء الرومان ([[10]](#footnote-10)) . وقد قامت الحرب بين الحارث بن جبلة والمنذر بن ماء السماء في سنة 538 م . بسبب الاراضي التي اطلق عليها الرومان اسم Strata وهي الاراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق الى ما بعد تدمر حتى مدينة سروج ، فقد ادعى المنذر ان القبائل العربية النازلة في تلك الاراضي خاضعة لسلطانة وانها تدفع له الجزية ، فنازعه الحارث على هذه السلطة وقامت الحرب بينهما فانتصر كسرى للمنذر واوعز اليه بالتوغل في سورية فوصلت هجماته الى انطاكية ([[11]](#footnote-11)) . وفي سنة 541 م اشترك الحارث في القتال الى جانب الروم فعبر بجيوشه نهر دجلة لكنه سرعان ما عاد الى مواقعة السابقة عن طريق آخر غير الطريق التي سلكها معظم الجيش ، وقد أثار تصرفه هذا شكوك الروم في اخلاصه . ولم يمض على هذا الحادث سوى فترة قصيرة حتى تجددت الحرب بين الحارث والمنذر في سنة 544م . فهزم الغساسنة ووقع احد ابناء الحارث اسيرا في يد المنذر فقدمة ضحية للإلهة العزى ([[12]](#footnote-12)) .

واستمر العداء سائدا بين الغساسنة والمناذرة ، حتى تمكن الحارث من احراز النصر على المنذر ملك الحيرة في سنة 554 م في المعركة التي حدثت بالقرب من " قنسرين " وقتل فيها المنذر نفسه ، وخسر الحارث احد ابنائه ويدعى " جبلة " فدفنه ابوه في قلعة عين عوداجه بالقرب من قنسرين([[13]](#footnote-13)).

وبعد وفاة الحارث بن جبلة سنة 569 م خلفة في الحكم المنذر بن الحارث الذي عرف في المصادر اليونانية واللاتينية باسم Alamundaros كما لقب بالمنذر الاكبر تمييزا له عن أخيه المنذر الاصغر ([[14]](#footnote-14)) . وقد استهل المنذر عهده بمحاربة المناذرة فانتصر على ملكهم قابوس بن المنذر في موقعة " عين اباغ " التي حدثت في سنة 570 بالقرب من الحيرة ([[15]](#footnote-15)) . وكانت العلاقات بين الغساسنة والروم قد أخذت تسوء بسبب موقف المنذر المؤيد للمذهب المونوفيزيتي ( اليعقوبي ) ، فأوعز الامبراطور جستين الثاني ( 565 – 578 م ) الى البطريق مرقيانوس بتدبير مؤامرة لقتل المنذر ، فلما احس المنذر بذلك هرب الى البادية وشق عصا الطاعة على الامبراطور مدة ثلاث سنوات ، فاغتنم المناذرة الفرصة وهاجموا سوريا وعاشوا بها ، فاضطر الروم الى مفاوضة المنذر واسترضائه فعقد الصلح بينهما في أواخر ايام الامبراطور جستين الثاني ([[16]](#footnote-16)) . وقد قام المنذر بزيارة القسطنطينية في 8 مارس سنة 580 م فاستقبل استقبالا حافلا ، وانعم عليه الامبراطور الجديد طيباريوس ( 578 – 582 م ) بالتاج بدلا من الاكليل الذي ينعم به الروم على عمالهم من العرب ([[17]](#footnote-17)) . ولم تلبث العلاقات بين المنذر والروم ان تدهورت على أثر أشتراك المنذر في الحملة التي قام بها موريق ( قومس الشرق ) ضد الفرس ، فقد عزى الرومان فشل هذه الحملة الى تواطئ المنذر مع الفرس ، فقد وجد موريق الجسر الكبير على نهر الفرات مهدما فظن ان في الامر خيانة من جانب الملك الغساني فزاد هذا الحارث من أيغار صدور الروم ضد المنذر فأرسل الامبراطور طيباريوس الى " ماجنوس " . الحاكم الروماني في سوريا يأمره بالقبض على المنذر ، ولم يسع ماجنوس الا ان ينفذ أمر الإمبراطور رغم الصداقة التي كانت تربطه بالمنذر ، فأرسل الى المنذر يدعوه الى حضور حفل افتتاح أحدى الكنائس في بلدة الحواريين ( بين تدمر ودمشق ) ، فلما حضر المنذر القي القبض عليه وأرسل الى القسطنطينية مع أبنين له واحدى نسائه ([[18]](#footnote-18)) . ثم توفي الامبراطور طيباريوس وتولى الحكم بعده موريق (582 – 602 ) عدو المنذر اللدود ، فأمر بنفي المنذر الى جزيرة صقلية ، ولم يكتفي بذلك بل عمد الى قطع المعونة السنوية التي كانت تقدمها الدولة البيزنطية الى أسرة المنذر من ال جفنة فأثار هذا التصرف ابناء المنذر الاربعة وشقوا عصا الطاعة على الروم ، فأوغلوا في الصحراء تحت قيادة اخيهم الاكبر – النعمان – واخذوا يشنون الغازات على أراضي الدولة البيزنطية فقاموا بهجمات عنيفة ضد " بصرى " التي كانت أكبر قاعدة بيزنطية في جنوب سوريا ، فاضطر الامبراطور موريق الى تجهيز حملة بقيادة ماجنوس لمحاربة أولاد المنذر فاستطاع ان يلقي القبض على النعمان بن المنذر بالخديعة والدهاء ، وأرسله الى القسطنطينية في سنة 583 م ([[19]](#footnote-19)) .

وقد اعقب أسر النعمان بن المنذر تصدعا في دولة الغساسنة ، فتفككت وحدة العرب في سوريا وانقسموا الى ( 15 ) فرقة لكل منها أمير ، وبدأت القبائل تطاحن فيما بينها ، كما أخذ بعضهم يشن الغارات على المناطق المتحضرة في سوريا ، فاضطر الرومان الى اقامة أمير جديد للغساسنة بدلا من المنذر ، وحرصوا ان يكون الامير الجديد من ال جفنة لما كان يتمتع به هؤلاء من مكانة وهيبة في نفوس العرب في سوريا ([[20]](#footnote-20)) .

واختلف الاخباريون العرب في ذكر اسماء امراء الغساسنة بعد المنذر بن الحارث ، كما انقطع المؤرخون السوريون والبيزنطيون عن ذكر اخبار ال جفنة بعد المنذر ، وكانت مدة حكمهم قصيرة وقد أورد حمزة الاصفهاني قائمة بأسمائهم تختلف عن الاسماء التي أوردها المسعودي وابن قتيبة ثم تفرق ال جفنة في الصحراء وفر بعضهم الى بلاد الروم على أثر استيلاء الفرس على بلاد الشام في سنة 613 م ، وبعد نجاح الامبراطور هرقل في استرداد الشام من الفرس في سنة 629 م أسند حكم سورية الى احد الامراء الغساسنة وهو ( جبلة بن الايهم ) ، الذي اشترك مع الروم في قتال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في " دومة الجندل " سنة 634 م ، كما اشترك مع الروم في موقعة اليرموك سنة 636 م ، واسلم بعد هذه الموقعة ، غير انه ما لبث ان أرتد عن الاسلام وهرب الى القسطنطينية ([[21]](#footnote-21)).

**حضارة الغساسنة**

كانت ديار الغساسنة تمتد ما بين الجولان واليرموك ، وكانوا يقيمون بالقرب من دمشق في موضع على نهر بردى يعرف " بجلق " وكانت الجولان قاعدة لملك الغساسنة ومعسكر لهم واتخذوا مدينة الجابية مركزا لإماراتهم ، وكان موقعها بالقرب من مرج الصفر في شمال حوران ، وليس هناك ما يشير الى ان الغساسنة كانوا يمتلكون أيا من الاماكن المحصنة او من المدن التي كانت مساكن للجيش كدمشق وبصرى او كتدمر التي حصنها جستنيان([[22]](#footnote-22)) .

وقد مارس الغساسنة الزراعة واهتموا بشؤونها ، فاستغلوا مياه حوران التي تندفق من أعالي الجبال في الزراعة ، فعمرت القرى والضياع ، وبنوا القناطر واصلحوا الصهاريج ، والى جانب اهتمام الغساسنة بالزراعة ، اهتموا بالعمارة والبنيان ، فشيدوا كثيرا من القصور والاديرة ، ومن القصور التي تنسب الى الامراء الغسانيون ، قصر المشتي وهو بناء متأثر الى حد كبير بفن العمارة الساسانية الذي كان سائدا في الحيرة وقصر الطوبة ([[23]](#footnote-23)) . وقصر الصفا وقصر المنارة وقصر السويداء والقصر الابيض وقصر بركة وقصر حارب وغيرها . ومن الاديرة : دير حالي ودير الكهف ودير هند ودير البنوة ، وقلعة القسطل . ([[24]](#footnote-24)) كما شيد الغساسنة عددا من الحمامات العامة والمسارح والكنائس واقواس النصر ([[25]](#footnote-25)) . وكانت الديانة السائدة عند الغساسنة هي النصرانية ، بحكم ولائهم للروم ، وكانوا على المذهب المنوفستي ، الذي عرف فيما بعد باسم المذهب اليعقوبي نسبة الى يعقوب البرادعي الرهوي ، واتخذ الغساسنة اللغة العربية لغتهم ، كما استعملوا اللغة الآرامية لغة ثانية([[26]](#footnote-26)).

1. ()جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص 207 ، علي ابراهيم : التاريخ الاسلامي العام ص 80 ماجد ، التاريخ السياسي ج1 ص 88 . [↑](#footnote-ref-1)
2. ()المسعودي : مروج الذهب ج2 ص 106 – 107 . [↑](#footnote-ref-2)
3. ()المصدر السابق : التنبيه والاشراف طبعة بيروت ص 186 . [↑](#footnote-ref-3)
4. () نولدكة : امراء غسان ط بيروت 1933 ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق ص 4 . [↑](#footnote-ref-4)
5. ()ابن خلدون : العبر ج2 ص 583 . [↑](#footnote-ref-5)
6. ()حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص 77 . [↑](#footnote-ref-6)
7. ()المسعودي – مروج الذهب ج2 ص 157 . [↑](#footnote-ref-7)
8. ()جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج4 ص 128-129 . [↑](#footnote-ref-8)
9. ()نولدكه : امراء غسان ص 12 ، 14 جواد علي : العرب قبل الاسلام ج4 ص 128 – 129 . [↑](#footnote-ref-9)
10. ()نافع : العرب قبل الاسلام ص 112 ، 113 ماجد ، التاريخ السياسي ج1 ص89 . [↑](#footnote-ref-10)
11. ()صالح العلي : محاضرات ص 57 ، علي ابراهيم ، التاريخ الاسلامي ص 81 . [↑](#footnote-ref-11)
12. ()نولدكه : امراء غسان ص 18 ، سالم ، دراسات ص 281 . [↑](#footnote-ref-12)
13. ()جواد علي : العرب قبل الاسلام ج4 ، ص 61 . [↑](#footnote-ref-13)
14. ()حمزة الاصفهاني : ص 78 . [↑](#footnote-ref-14)
15. ()جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص 217 . [↑](#footnote-ref-15)
16. ()نولدكه : ص 25-26 علي ابراهيم حسن – التاريخ الاسلامي العام ص 83 . [↑](#footnote-ref-16)
17. ()جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص217 ، سالم ، دراسات ص 287 . [↑](#footnote-ref-17)
18. ()جواد علي : العرب قبل الاسلام ج 4 ص 138 ، صالح العلي ، محاضرات ص 59 . [↑](#footnote-ref-18)
19. ()نولدكه : ص 32 مبروك نافع : العرب قبل الاسلام ص 113 . [↑](#footnote-ref-19)
20. ()صالح العلي : محاضرات ص 60 ، سالم ، [↑](#footnote-ref-20)
21. ()البلاذري : تاريخ ، ج1 ص 160 ، ابن قتيبة : كتاب المعارف ، ص 217 . [↑](#footnote-ref-21)
22. ()صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص 63 ، سالم ، دراسات ص 295 ، 296 . [↑](#footnote-ref-22)
23. ()اختلف العلماء في نسبة هذين القصرين ، فبعضهم ينسبها الى الامويين والبعض الاخر ينسبهما الى الغساسنة . انظر

    Creswell, Early Muslim architecture, Vol.1 P.390-405. [↑](#footnote-ref-23)
24. ()جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص 219، 220 ، سالم ، دراسات ص 297 ، 298 . [↑](#footnote-ref-24)
25. ()مبروك نافع : عصر ما قبل الاسلام ص 115 . [↑](#footnote-ref-25)
26. () مبروك نافع : عصر ما قبل الاسلام ص 115 . [↑](#footnote-ref-26)